رحلة الإمام الشافعي إلى اليمن ونجران

- دراسة تاريخية -

إعداد
د. حسن الشوكاني
أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك
كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد

الملخص

تتناول هذه الدراسة أثر رحلات الإمام محمد بن إدريس الشافعي – رحمه الله – الذي كانت له إلى اليمن رحلة، والتي تناولها المؤلفون بين مقتضب ومسهب في الحديث عنها، وتعددت الروايات حولها، بل تضاربت بشكل يجعل القارئ في حيرة من أمره حيالها. فما حقيقة تلك الرحلة، أو الرحلات؟ ومتى كانت؟ وما الأسباب الدافعة إليها؟ وما أثرها في حياة الإمام الشافعي العلمية والعملية؟ ثم ما هي النتائج التي أفضت إليها؟ والتي أدت في نهاية الأمر أن يحمل الإمام الشافعي إلى بغداد مقيدا بالحديد، في تهمة من أخطر التهم التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان، والتي جعلت الإمام الشافعي يوقن بالموت؟ كل هذه التساؤلات وغيرها هي ما سوف يحاول هذا البحث الإجابة عليها، وسبر غور الحقيقة حولها، من خلال جمع الروايات والمقارنة بينها، ثم التحليل والاستنتاج للوصول إلى أقرب نقطة للحقيقة بقدر ما تسعف به المصادر.

الكلمات المفاتيح: الشافعي ـ رحلات اليمن ونجران ـ التحليل التاريخي

Imam Shafi'ie's Journey to Yemen and Najran: a Historical Perspective

By Hasan Shawkani
Associate Professor of Islamic History
College of Humanities - King Khalid University

Abstract:

This study addressed the impact of Imam Mohamed bin Idris who travelled to Yemen with more or less discussions by scholars. Narratives of this travel varied, and some contradicted one another in a way that would make readers in a state of confusion. What is the truth about this travel or travels? when did it occur? How did it influence Imam Shafi'ie's scholarly and practical life? What are the effects of these travels which ultimately led him in handcuffs to Baghdad being accused of a serious death penalty crime? This paper will seek to answer these questions by probing the truth about them through comparing different narratives, analysis and coming to conclusion as to what could be described as factual truths as far as the references go.

Keywords: Imam Shafi'ie, travels to Yemen and Najran - historical analysis

المقدمة:

تعد الرحلة العلمية من أهم مكونات الشخصية العلمية لأي عالم أو طالب علم، ولقد حرص العلماء السابقون على الرحلة في طلب العلم إلى مختلف الجهات، وعدوا ذلك أمراً لازماً، ولم يقعد عن الرحلة في طلب العلم والاستزادة منه إلا من ضاقت به الحال، أو قصرت به الأسباب عن الرحلة، ولقد كان العلماء المشتهرون في مختلف أصقاع العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه مقصداً لطلاب العلم، وهدفاً للتلاميذ الذين يتجشمون عناء السفر ومشقته للوصول إلى أولئك العلماء للتلقي عنهم، والمزاحمة في حلقاتهم، وبقدر رحلات طالب العلم في الأقطار، وحضوره في حلقات العلماء، ترتفع مكانته، ويعلو مقامه، ويتكاثر الطلبة في حلقته، ومن ثم يصبح بذاته مقصداً لطلاب العلم، ولذا جعلوا "الرحلة" مناط الثقة بالعالم، قال الإمام يحيى بن معين: "أربعة لا تؤنس منهم رشداً - أي لا تبصر منهم خيراً ولا نفعاً - "حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابن المحدث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث"[(١)].

وقال الحافظ ابن الصلاح: "وإذا فرغ - الطالب - من سماع العوالي والمهمات التي ببلده، فليرحل إلى غيره"[(٢)]، وقد أوردها بصيغة الأمر "فليرحل" وذلك لما لمسوه من فوائد الرحلة وآثارها النافعة في تكوين المواهب الشخصية، وتنمية المدارك العلمية، وتوسعة الآفاق الفكرية، والتطاعم بين العقول والمعارف وأهليها؛ فلذا أقاموها مقام

(١) ابن الصلاح: علوم الحديث - المعروف بمقدمة ابن الصلاح، ص ٢٤٦.

(٢) مقدمة ابن الصلاح، ص٢٤٧- ٢٤٨.

الحاجة الضرورية لمن سلك طريق العلم والتحصيل، واعتبروها شرطاً لتوثيق العالم والثقة بعلمه.

فنشأ من ذلك تلك الرحلات الواسعة، والأسفار الشاسعة والسنوات الطوال التي تقضي من أعمار هؤلاء الراحلين، بعيدين عن الأهل والولد، والزوجة والبلد، متفرغين لتلقي العلم ولقاء العلماء، ومشافهتهم، وتعرف ما عندهم، والانتساب إليهم، والاغتراف من معينهم.

وقد صارت هذه الرحلات لدى العلماء السابقين جزءاً أصيلاً من حياتهم العلمية، ورحل العلماء من أهل كل علم، فرحل المفسر والمحدث، والفقيه الأصولي، واللغوي، والنحوي، والأديب، والمؤرخ، والزاهد، والعابد، والشاب، والشيخ، والكبير، والصغير، كما ظهر في تراجم كثير من العلماء الكبار، ومنهم الإمام محمد بن إدريس – رحمه الله – الذي كانت له إلى اليمن رحلة بل رحلات تناولها المؤلفون بين مقتضب ومسهب في الحديث عنها، وتعددت الروايات حولها، بل تضاربت بشكل يجعل القارئ في حيرة من أمره حيالها؟؟ فما حقيقة تلك الرحلة، أو الرحلات؟ ومتى كانت؟ وما الأسباب الدافعة إليها؟ وما أثرها في حياة الإمام الشافعي العلمية والعملية؟ ثم ما هي النتائج التي أفضت إليها؟ والتي أدت في نهاية الأمر أن يحمل الإمام الشافعي إلى بغداد مقيدا بالحديد، في تهمة من أخطر التهم التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان، والتي جعلت الإمام الشافعي يوقن بالموت؟ كل هذه التساؤلات وغيرها هي ما سوف يحاول هذا البحث الإجابة عليها، وسبر غور الحقيقة حولها، من خلال جمع الروايات والمقارنة بينها، ثم التحليل والاستنتاج للوصول إلى أقرب نقطة للحقيقة بقدر ما تسعف به المصادر. والله الموفق.

ترجمة الشافعي:

يعرف الإمام الشافعي بالمطلبي[١]، نسبة إلى بني المطلب القرشيين بني عم الرسول ﷺ، فهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد بن يزيد بن هاشم بن المطلب[٢]، وبذلك يكاد يجمع المؤرخون على أنه ذا نسب قرشي مطلبي[٣]، إذ يلتقي مع رسول الله ﷺ في عبد مناف،[٤] "واشتهاره بالمطلبي عند الخلفاء والعلماء والشعراء أشهر من ضوء النهار عند البصير" كما يقول البيهقي[٥].

أما والدته فهي أزدية من قبائل الأزد اليمنية[٦]، والذي يظهر لي أنها كانت من تبالة[٧] إذ يقول الشافعي "كان أبي رجل من تبالة، وكان بالمدينة فظهر فيها بعض ما يكرهه فخرج إلى عسقلان فأقام بها وولدت بها"[٨]. وقد اتفقت الروايات على أن

(١) ابن حجر: توالي التأسيس، ص٣٤، الذهبي سير أعلام النبلاء ج١٠، ص٦.

(٢) الخطيب: تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦-٥٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٥، ص٢٦٣.

(٣) وإن كان هناك من يقول أنه قرشي بالولاء لا بالنسب وأن جده كان مولى لأبي لهب، وقد ناقش هذه الرواية الإمام الفخر الرازي بشكل مستفيض وأثبت عدم صحة هذه الرواية (انظر: مناقب الإمام الشافعي، ص٢٣ -٢٨).

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦-٥٨، ابن فرحون: الديباج المذهب، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٥) مناقب الشافعي، ص٨١.

(٦) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٢٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج٥، ص٢٦٣.

(٧) تبالة: بليدة تقع في الطريق ما بين مكة واليمن، وتبعد عن مكة أربعة مراحل (الحميري: الروض المعطار ص١٢٩). وقد أخطأ الحموي حينما عدها من بلاد تهامة (معجم البلدان، ج٢، ص٩) وهي تقع شمال غرب محافظة بيشة بالمملكة العربية السعودية وتبعد عن بيشة حوالي ٨٠كم. (محمد عبدالمتعالي: دليل الأسماء القديمة والهجر والأماكن العامة في منطقة عسير، محافظة بيشة، ص٥١-٥٥).

(٨) ابن حجر: توالي التأسيس، ص٥٠، والذي يظهر أنه قصد والد أمه - أي أنه كان من تبالة وسكانها من قبائل الأزد.

ولادته كانت في سنة ١٥٠هـ[١]، وبالقدر ذاته اختلفت المصادر في مكان ولادته، إذ تشير أغلب المصادر إلى أنه ولد بغزة من أرض فلسطين[٢] حيث روي عنه قوله "ولدت بغزة سنة خمسين ومائة"[٣]، بينما قالت رواية أخرى أنه ولد بعسقلان[٤] وتشير رواية ثالثة إلى أن ولادته كانت باليمن، حيث روي عنه قوله: "ولدت باليمن، فخافت أمي على الضيعة فحملتني إلى مكة"[٥]، وقد حاول البيهقي الجمع بين تلك الروايات، حيث قال أن الإمام الشافعي ولد بغزة في أحد المواضع التي تسكنها بطون من اليمن، ثم حملته أمه منها إلى عسقلان وظل بها إلى أن بلغ سنتين من عمره ثم حملته من هناك إلى مكة بعد ذلك بزمن[٦].

طلبه للعلم:

دخل الإمام الشافع مكة وهو صغير السن، وكان فقيراً معدماً، ولما ترعرع دفعته أمه إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم، وتعلم الكتابة، رغم قلة ذات اليد، فلم يكن عندها ما تعطي المعلم أجرة لتعليم ولدها، لذا رضي المعلم أن يخلفه إذا قام فيحفِّظ الطلاب، لما رأى منه من نباهة وقوة حفظ[٧]، وقد استطاع حفظ كتاب الله تعالى وهو في سن صغيرة[٨]، ثم اتجه بعد حفظه لكتاب الله تعالى إلى استحفاظ حديث رسول الله ﷺ،

(١) ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ص١٧-١٨، أبو نعيم حلية الأولياء، ج٩، ص٦٧.
(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦.
(٣) البيهقي: مناقب الشافعي، ج١، ص٧٣.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٥، ص٢٦٣.
(٥) البيهقي: مناقب الشافعي، ج١، ص٧٢ -٧٥.
(٦) البيهقي: مناقب الشافعي، ج١، ص٧٤.
(٧) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص٣٨٣، ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٢، ص٢٤٨.
(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١١.

وكان يحفظ الحديث بالسمع، ثم يكتبه على الجلود والخزف والظهور[١]، التي يحصل عليها من الديوان. وجلس في حلق العلماء بمكة وكان من أشهر من أخذ عنه بمكة سفيان بن عيينة[٢]، ومسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة[٣]. وغيرهما من الأعلام الكبار ممن أدركه هناك.

ثم اتجهت رغبته إلى التفصح في العربية، وطلب الشعر والأدب وأيام العرب، لذلك جدَّ في طلب هذه العلوم وخرج من مكة إلى البادية وتحديداً إلى قبيلة هذيل، وكانت من أفصح قبائل العرب، وظل بها عشر سنين[٤] وفي رواية عشرين سنة[٥] وفي رواية ثالثة بقي هناك سبع عشرة سنة،[٦] لازمهم كل هذه المدة "يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم"[٧] وكانت حصيلة تلك الرحلة العلمية بروزا في العربية وعلومها، ونبوغا في حفظ أشعار العرب وآدابها، حتى أصبح مقصدا في ذلك[٨]. حتى قال عنه الإمام أحمد بن حنبل "كان الشافعي من أفصح الناس، وكان مالك تعجبه قراءته لأنه كان فصيحا. وقال: ما

(١) الظهور المراد بها الأوراق الديوانية التي كتب في باطنها وترك ظهرها أبيض، ولم يعد الديوان ينتفع منها (انظر: أبو زهرة: الشافعي: حياته – آراؤه الفقهية، ص١٨، حاشية١).

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي، محدث الحرم، سكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨هـ، انظر: الذهبي: ميزان الاعتدال، مج٢، ص١٧٠ –١٧١.

(٣) مسلم بن خالد بن مسلم المعروف بالزنجي من الموالي، كان إمام أهل مكة وقاضي مكة، أصله من الشام، ولقب بالزنجي لحمرة وجهه. توفي سنة ١٧٩هـ. (انظر: الزركلي: الأعلام، جـ٧، ص٢٢٢).

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص٢٦٣.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٢. ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص٢٦٣.

(٦) الحموي: معجم الأدباء ج٦، ص٢٣٩٥، النووي: تهذيب الأسماء، ج١، ص٤٦، أبو نعيم: حلية الأولياء، ج٩، ص٧٠.

(٧) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٦٣.

(٨) الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٥.

مس أحد محبرة ولا قلماً إلا وللشافعي في عنقه منة. وقال أيوب بن سويد: خذوا عن الشافع اللغة"[١].

وبالرغم مما أحرزه الشافعي من قوة في العربية والشعر والأدب فإن ذلك لم يحقق ما نفسه من شغف للعلم ورغبة في التحصيل، لذلك اتجه لطلب الفكر والفقه يقول النووي" كان الشافعي في بداية أمره يطلب الشعر وأيام العرب والأدب ثم أخذ في الفقه" [٢]، ويقول الذهبي عنه " ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه"[٣]، ورأى أن ذلك لا يتحقق له في مكة لذلك بدأ في رحلاته العلمية التي كانت بدايتها من المدينة المنورة، حيث كان ذكر الإمام مالك بن أنس – رحمه الله – يدوي بها، وقد بلغ الآفاق، لذلك اتجه الإمام الشافعي إليه فجلس في حلقته، وتقول المصادر أنه قبل ذهابه إلى الإمام مالك حفظ الموطأ كاملا، ورغب أن يقرأه على صاحبه مباشرة[٤]، وقد أعجب به الإمام مالك وبقدرته، وتنبئ له بشأن كبير في مستقبل أيامه[٥]، وقد لازم الشافعي الإمام مالك إلى أن توفي سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م ثم رحل عن المدينة المنورة وقد حاز علم مالك[٦]. وتنقل الإمام الشافعي بعد ذلك لطلب العلم فرحل إلى اليمن، كما دخل بغداد مرات ومرات[٧] فطلب المذهب الحنفي على يدي محمد بن الحسن الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة النعمان – رحمه الله – وانعقدت بينهما مناظرات فقهية عظيمة،

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٧.
(٢) تهذيب الأسماء واللغات، ج١، ص ٤٦.
(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٦.
(٤) البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٠-١٠١، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٣٨، ٣٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١١.
(٥) أبو حاتم الرازي: مناقب الشافعي، ص١٨.
(٦) عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص٣٨٥.
(٧) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٦٨، ٦٩.

كما طلب العلم على أيدي علماء آخرين في بغداد، التي كانت قبلة العلم في حينها. قال ابن حجر " انتهت رياسة الفقه في المدينة إلى مالك، ورحل الشافعي إليه ولازمه، وانتهت رياسة الفقه إلى أبي حنيفة، فأخذ عن صاحبه محمد حملا ليس فيه شيء إلا وقد سمعه عليه، فاجتمع له علم أهل الرأي، وعلم أهل الحديث"(١).

وأثناء وجوده في بغداد اتصل بمحمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة وقرأ كتبه وتعرف على علم أهل الرأي، ثم عاد بعدها إلى مكة وأقام فيها نحواً من تسع سنوات لينشر مذهبه من خلال حلقات العلم التي يزدحم فيها طلبة العلم في الحرم المكي ومن خلال لقائه بالعلماء أثناء مواسم الحج. وتتلمذ عليه في هذه الفترة عدد كبير من طلبة العلم كان من أبرزهم الإمام أحمد بن حنبل. ثم عاد مرة أخرى إلى بغداد سنة (١٩٥هـ/ ٨١٠م)، وكان له بها مجلس علم يحضره العلماء ويقصده الطلاب من كل مكان. مكث الشافعي سنتين في بغداد ألف خلالها كتابه (الرسالة) ونشر فيها مذهبه القديم. ثم عاد الإمام الشافعي إلى مكة ومكث بها فترة قصيرة غادرها بعد ذلك إلى بغداد سنة (١٩٨هـ/ ٨١٣م) وأقام في بغداد فترة قصيرة ثم غادر بغداد إلى مصر(٢).

قدم الإمام الشافعي مصر سنة (١٩٩هـ/ ٨١٤م) تسبقه شهرته، فنزل بالفسطاط ثم بدأ بإلقاء دروسه في جامع عمرو بن العاص فمال إليه الناس، وجذبت فصاحته وعلمه كثيراً من أتباع الإمامين أبي حنيفة ومالك. وبقي في مصر خمس سنوات قضاها كلها في التأليف والتدريس والمناظرة والرد على الخصوم. وفي مصر وضع الشافعي مذهبه الجديد وهو الأحكام والفتاوى التي استنبطها بمصر وخالف في بعضها فقهه الذي وضعه في العراق، وصنف في مصر كتبه الخالدة التي رواها عنه تلاميذه. وكان مذهبه وسطاً

(١) توالي التأسيس، ص٧٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٥، ص٢٦٣ – ٢٦٤.

بين المدرستين السابقتين له وهما: مدرسة الرأي، ومدرسة الحديث، وانتشر تلاميذه في أرجاء العالم الإسلامي حاملين مذهبه وداعين إليه(١).

- حاز الإمام الشافعي من خلال تلك الرحلات العلمية علما عظيما، وأحرز شهرة كبيرة حتى "صنف الكبار في مناقب هذا الإمام قديما وحديثا، ونال بعض الناس منه غضاً فما زاده ذلك إلا رفعة وجلالة، ولاح للمنصفين أن كلام أقرانه فيه بهوى، وقل من برَّز في الإمامة، وردَّ من خالفه إلا وعودي،.... وصنف التصانيف، ودون العلم، ورد على الأئمة متبعاً الأثر، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته، وتكاثر عليه الطلبة"(٢). قال ابن خلكان(٣): "وقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه ".
- ومات الشافعي، في آخر ليلة من رجب سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م. وقد بلغ من العمر أربعة وخمسين عاماً، قال محمد بن عبدالله بن عبد الحكم المصري: "ولد الشافعي سنة خمسين ومائة، ومات في آخر يوم من رجب، سنة أربع ومائتين، عاش أربعاً وخمسين سنة "(٤).

(١) عبدالغني الدوقر: الإمام الشافعي فقيه السنة الأكبر، ص١٥١.
(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٨.
(٣) وفيات الأعيان: ج٤، ص١٦٦.
(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٧٠.

رحلته إلى اليمن:

أ- تاريخ الرحلة:

تثبت كثير من المصادر رحلة الشافعي إلى اليمن، غير أنها لا تحدد تاريخ بداية تلك الرحلة، إذ لم أجد في المصادر التي اطلعت عليها من أشار إلى تاريخ محدد لبداية الرحلة، وإنما يتواضع المؤرخون على أن حمل الشافعي من اليمن إلى بغداد كان في سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م[(١)].

غير أن المصادر تشير إلى أنه على أثر وفاة شيخه الإمام مالك ترك الشافعي المدينة المنورة وعاد إلى مكة إلا أنه اشتد الأمر عليه في مكة فغادرها إلى اليمن[(٢)].

ويفهم من هذا أن رحلته لليمن كانت في حدود سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م ولعلها كانت بنهاية هذا العام. خاصة إذا علمنا أن الأرجح في تاريخ وفاة الإمام مالك بن أنس أنها كانت في شهر ربيع الأول من عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م[(٣)]. حيث خرج الإمام الشافعي بعدها من المدينة إلى مكة وأقام بها برهة من الزمن، ثم ارتحل إلى اليمن.

يعضد ذلك ما ذكره بعض المؤرخين الذين أشاروا إلى أن الإمام الشافعي قضى في اليمن خمس سنوات حيث يؤكدون أن خروجه من اليمن كان في عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م وبذلك تكون بداية وصوله إلى اليمن عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م[(٤)].

---

(١) الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٦، ابن حجر: توالي التأسيس، ص٦٩،قال الذهبي قلت: "قد قدم بغداد سنة بضع وثمانين ومئة" (سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٥٠) ولم يحدد السنة بعينها وهذا خلاف لما أورده جل من ترجم للشافعي حيث حددوا بسنة ١٨٤هـ.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء: ج٩، ص٧٠ -٧١، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩.

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب، ص٧٨. بل هناك رواية تفيد أن وفاته كانت في شهر رجب عام ١٧٩هـ.

(٤) أبو حاتم الرازي: آداب ومناقب الإمام الشافعي، ص٢٥، الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٧١.

وتضطرب الرواية في شأن خروج الإمام الشافعي إلى اليمن ففي حين تذكر المصادر[١] أن القاضي مصعب الزبيري[٢] الذي عين قاضياً لليمن من قبل الرشيد[٣] حين خرج من مكة اصطحب معه الشافعي إلى اليمن، وترد لدى الحموي رواية أخرى تنسب إلى مصعب الزبيري نفسه يقول فيها: "وأما طلبه العلم فحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله الزبيري أنه خرج إلى اليمن فلقي محمداً بن إدريس الشافعي وهو مستحص[٤] في طلب الشعر والنحو والغريب. قال: فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة، فذهبت به إلى مالك ابن أنس وأوصيته به "[٥].

والنص أعلاه يؤكد أن مصعباً لقي الشافعي في اليمن، ومن ثمَّ خرج به إلى المدينة المنورة وربطه بمالك بن أنس. وهذا عكس ما أوردته المصادر من أنه لقيه في مكة ثم اصطحبه إلى اليمن.

ويفهم من هذا أن رحلة الإمام الشافعي إلى اليمن كانت قبل رحلته إلى المدينة المنورة وطلبه العلم على يدي الإمام مالك بن أنس.

كما يفهم من هذه الرواية أن الشافعي قد خرج إلى اليمن لطلب علوم العربية من الشعر والنحو وغريب اللغة، ولا شك أن اليمن كانت مصدراً لتعلم مثل تلك العلوم،

---

(١) توالى التأسيس، ص٦٩، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٨٥ – ٨٦.

(٢) مصعب بن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام. كان علامة نسابة اخبارياً فصيحاً من نبلاء الرجال وأفرادهم، توفي في شوال سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م (انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١١، ص٣٠ -٣٢).

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص١١٢-١١٤.

(٤) مستحض.

(٥) معجم الأدباء: ج٩، ص٢٣٩٤.

غير أن الرواية الأكثر شهرة أن الشافعي طلب هذه العلوم عند قبيلة هذيل حيث كانت أشهر قبائل العرب في حينها في تلك العلوم، ولم تكن باليمن بل كانت فيما جاور مكة المكرمة – كما سيأتي بيانه –.

ورغم أن هذه الرواية تخالف كثيراً من الروايات التي تفيد أن رحلة الشافعي إلى اليمن كانت بعد عودته من المدينة المنورة، إلا أنها تسند إلى الزبير بن بكار وهو الراوية الموثوق[(١)]، والعلم المرموق، والقاضي الثبت، وهو ابن أخي مصعب الزبيري الذي روى عنه هذه الرواية. وبالتالي فلا يمكن إهمال هذه الرواية خاصة إذا ما أخذنا بالرواية التي تقول أن حمل الشافعي إلى بغداد بعد اتهامه بالخروج مع الثوار ضد الرشيد كان من مكة أو الحجاز – كما قال ابن عبدالبر[(٢)] ولم يكن من اليمن.

وبالتأمل والمقارنة في هذه الروايات يمكن لنا أن نتساءل هل كان للشافعي أكثر من رحلة إلى اليمن؟ الذي يظهر أنه بالفعل كان للشافعي أكثر من رحلة إلى اليمن. وهذا ما سوف يتم إيضاحه لاحقاً.

ب- أسباب الرحلة:

هل كان خروج الإمام الشافعي إلى اليمن لطلب الولاية والسعي وراء المناصب والمهام، أم كان فراراً من العوز والحاجة وبحثاً عن باب رزق يعوضه ووالدته ضنك العيش الذي يعيشانه في مكة، أم أنه كان لطلب العلم والاستزادة منه؟

---

(١) قال عنه الخطيب البغدادي: "كان الزبير ثقة ثبتاً عالماً بالنسب وأخبار المتقدمين" تاريخ بغدا،ج٨، ص٤٦٧. وقال ابن حجر: "قال أبو القاسم البغوي كان ثبتاً عالماً ثقة" – تهذيب التهذيب،ج١، ص٦٢٣-٦٢٤. وقال عنه الذهبي: هو ابن بكار الإمام، صاحب النسب قاضي مكة، ثقة من أوعية العلم" ميزان الاعتدال:ج٢، ص٦٦.

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء، ص١٥٣ – ١٥٤.

كل تلك الأسباب مشروعة بلا شك وهي مطلب للكثير من أمثال الشافعي، فإن كانت الولاية والإمارة فهو يرى في نفسه ما يؤهله لذلك، ويمكنه من النجاح فيما قد يسند إليه من مهام إدارية أو قضائية أو غيرها، وقد شهد بذلك الكثير ممن عاصره وعرفه[(١)].

وإن كان طلب التوسع في الرزق والهرب من الفقر فهو منهج إسلامي صحيح فالتحرف لطلب الرزق والفرار من الفقر والعوز، وطرق أبواب الرزق مندوب والشافعي يدرك ذلك تماماً وهو الفقيه القدير، أما الثالثة وهي الأبرز ألا وهي الاستزادة من العلوم والمعارف فالشافعي حري بذلك وجدير به.

لكن ما العلم الذي يسعى الشافعي وراء تحصيله في اليمن خاصة وأنه يعيش في مكة المكرمة موطن العلماء ومجمع الطلاب وإليها تشد رحال طالبي العلم بكل فنونه وأقسامه، فضلاً عن أنه قد حاز من العلوم ما ارتفع به كعبه، وعلا به قدره حتى حثه فقيه مكة مسلم بن خالد الزنجي – بعد عودته من المدينة المنورة – ن يجلس للإفتاء، حيث قال له "أفتِ يا أبا عبدالله، والله قد آن لك أن تفتي"[(٢)]، وما كان لطالب علم – كائناً من كان – أن يجلس للإفتاء في مكة ويحثه الفقهاء على ذلك إلا إذا كان قد بلغ مرتبة من الفقه تؤهله لذلك.

لقد تعددت المرويات التي نسبت إلى الشافعي عن أسباب خروجه إلى اليمن ولعلنا نبدأ بالرواية التي وردت عن أحد تلاميذ الشافعي وهو: "الحميدي"[(٣)] حيث

(١) أوردت كثير من المصادر التي تناولت سيرة الإمام الشافعي الكثير من الصفات مثل الفطنة والذكاء والهمة العالية والعزيمة والسخاء وغيرها من الصفات التي تمكنه من القيام بمثل هذه الأعمال، وقد أشير إلى بعض منها في الترجمة التي وردت في مطلع هذا البحث. وللمزيد انظر (الشيرازي: طبقات الفقهاء، ص٧١ –٧٣، ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ج٢، ص٢٦٣ – ٢٧٠).

(٢) ابن أبي حاتم: آداب ومناقب الشافعي، ص٣٠، أبو نعيم: حلية الأولياء، ج٢، ص٩٣.

(٣) عبدالله بن الزبير بن عيسى بن حُميد العزي، الإمام الحافظ الفقيه، شيخ الحرم المعروف بالحميدي، ==

قال: "قدم والٍ على اليمن – يعني مكة – فكلمه بعض القرشيين في أن أصحبه، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتجمل به،[١] فرهنت داراً، فتحملت معه، فلما قدمنا عملت له على عملٍ، فحمدت فيه فزادني "[٢].

والذي توحي به هذه الرواية أن الشافعي خرج إلى اليمن لطلب الولاية والبحث عن عمل في اليمن، وقد استغل بعض قرابة الشافعي وصول والي اليمن إلى مكة فعرضوا عليه أمر الشافعي وما هو فيه من العوز والفقر والحاجة إلى جانب اليتم[٣]، لا شك أنهم قد بينوا لوالي اليمن ما يمتلكه الشافعي من قدرات ومواهب تؤهله لإنجاح أي مهمة يكلف بها، خاصة بعد ما برز من ذكائه وفطنته[٤].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، من هو هذا الوالي الذي قدم مكة من اليمن؟ وفي أي سنة كان قدومه؟

أما عن سنة قدومه فبالعودة إلى ما سبق ذكره في تاريخ رحلة الإمام الشافعي إلى اليمن يظهر أن قدومه كان في النصف الثاني من سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥ م[٥].

أما الوالي الذي اصطحب الشافعي إلى اليمن فقد أعرضت المصادر عن ذكر اسمه مباشرة، حيث اكتفت بقول: "اتفق أن والي اليمن قدم المدينة، فكلمه بعض القرشيين

==

ثقة كثير الحديث، مات بمكة سنة تسع عشرة وقيل ست عشرة ومائتين للهجرة. (انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥،ص٥٠٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ١٠، ص٦١٦ – ٦٢١).

(١) يبدو أنه تحريف للكلمة، الصحيح " أتحمل به " كما يتضح من السياق.

(٢) ابن حجر: توالي التأسيس، ص١٢٧.

(٣) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩.

(٤) أبو زهرة: الشافعي: حياته وعصره وآراؤه الفقهية، ص٣٣ – ٣٥.

(٥) انظر أعلاه ص٦.

في أن أصحبه"[١].

واقترب البيهقي[٢] شيئاً ما لتحديد الوالي حيث أكد أنه من المطلبيين بقوله: "ثمَّ أن رجلاً من المطلبيين ولي بعض ناحية باليمن، فمشت أمي إلى بني أعمامي وسألتهم أن يمشوا إليه ويسألوه استصحابي ففعل ذلك ". ويؤكد ذلك ابن عبدالبر[٣] بقوله: "وفد محمد بن إدريس على رجل من قومه باليمن، كان بها أميرا".

وبالعودة إلى المصادر التاريخية التي تناولت الحديث عن اليمن وولاته في تلك الفترة الزمنية يتضح أنها كانت فترة اضطرابات شديدة، وثورات مستمرة من قبل العلويين وغيرهم، وقد اضطرت الخليفة هارون الرشيد أن يجري تغييرات سريعة ومتوالية للولاة الذين يقودون اليمن، حيث يتبين أن هذه الفترة الممتدة من عام ١٧٩هـ إلى عام ١٨٤هـ شهدت ولاية تسعة ولاة للعباسيين أي بمعدل سنة وبضعة أشهر فقط لكل والي. وهذا يدل على شدة الاضطراب في اليمن[٤].

ولعل أقربهم إلى ذلك هو عبدالله بن مصعب الزبيري[٥] حيث كان الخليفة هارون

(١) الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩.

(٢) مناقب الشافعي، ص١١١.

(٣) الانتقاء، ص١٢٧.

(٤) انظر: الخزرجي: العسجد المسبوك، ص٢٨-٢٩، ابن الديبع: قرة العيون، ص١١٥-١١٨، الكبيسي: اللطائف السنية، ص٣٢ - ٣٤.

(٥) عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير، والد مصعب بن الزبير كان من أهل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن رواة الحديث، كان جميلاً، سرياً، محتشماً، فصيحاً، مفوهاً، محمود الولاية ولاه الرشيد أمارة اليمن وزاد معها ولاية عك وكانت عك إلى والي مكة ورزقه ألفي دينار كل شهر. انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٨،ص١٧٥، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٥١٧.

الرشيد قد عينه والياً للمدينة واليمن[١] يؤيد هذا ما روي عن الشافعي حيث قال: "ثمَّ أن رجلاً من المطلبيين ولي بعض ناحية اليمن، فمشت أمي إلى بني أعمامي، وسألتهم أن يمشوا إليه ويسألوه استصحابي ففعل ذلك"[٢].

وقد كان قريشاً ولذلك وردت الرواية لدى كثير من المؤرخين أن: "بعض القرشيين كلم هذا الوالي في أن يصحبه الشافعي "[٣].

ويظهر أن الشافعي كانت تربطه بهذا الوالي القرشي روابط سابقة، ومعرفة قديمة، يؤيد هذا ما أخرجه الحاكم من طريق مصعب الزبيري قال: "قرأ الشافعي أشعار هذيل حفظاً ثم قال لي: لا تخبر أحداً، وكان يسمر مع أبي من أول الليل إلى الصباح يتذاكران"[٤] والرواية هنا تفيد أن الشافعي كان على صلة وثيقة بعبدالله الزبيري، وأنهما كانا يسهران الليالي في منادمة الشعر وعلومه. فهل كان ذلك في مكة؟ أم كان في اليمن أثناء وجود الشافعي بها؟ هذا ما لم يتضح من المصادر التي تناولت هذا الموضوع. لكن الذي يتضح حسب هذه الرواية أن الشافعي خرج إلى اليمن بصحبة هذا الوالي حين خرج لطلب الولاية، وأن الوالي قد استعمله في أعمال كثيرة[٥]. أما في المرة الثانية فكان الذي اصطحبه إلى اليمن هو مصعب الزبيري، روى أبو نعيم[٦] عن الشافعي قال: "قال لي مصعب: إن هارون الرشيد كتب إليَّ أن أصير إلى اليمن قاضياً فتخرج معنا... فخرج قاضياً على اليمن وخرجت معه".

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٥، ص٩٠.

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، ص١١١.

(٣) ابن حجر: توالي التأسيس، ١٢٧.

(٤) ابن حجر: توالي التأسيس، ص٥٤.

(٥) ابن حجر: توالي التأسيس، ص٥٤.

(٦) حلية ألأولياء، ج٩، ص٧١.

الرواية الثانية عن سبب هذه الرحلة: ترتبط هذه الرواية بالأولى إلى حد بعيد غير أنها تأخذ منحى اقتصادياً بارزاً، حيث تشير الرواية إلى أن الشافعي كان يعاني من العوز والفقر والحاجة يوضح ذلك الرازي[١] بروايته عن الشافعي حيث يقول: "قال الشافعي، ولما مات مالك وكنت فقيراً، اتفق أن والي اليمن قدم المدينة " ويؤكد هذا العوز الذي كان يعانيه الشافعي كثير ممن تحدث عن بداية الشافعي في طلب العلم يقول البيهقي رواية عن الشافعي: "كنت في حجر أمي وأنا غلام فدفعتني أمي إلى الكُتَّاب ولم يكن عندها ما تعطي المعلم..... ولم يكن عند أمي ما تشتري به قراطيس" إلى أن يقول: "ثم قدم والٍ على اليمن فكلمه بعض القرشيين أن أصحبه، ولم يكن عند أمي ما تعطيني أتحمل به، فرهنت داراً بستة عشر ديناراً، وأعطتني، فتحملت بها معه "[٢]. ويروى أيضاً عن الشافعي أنه قال: "طلبت هذا الأمر – أي العلم – على ضيق من ذات اليد"[٣].

ويفهم من هذه الروايات التي وردت لدى الكثير من المؤرخين والمؤلفين الذين تناولوا حياة الشافعي أنه كان يعاني من الفقر في مكة، ولذلك ربما وجد في الخروج إلى اليمن مخرجاً من ذلك، وتحرفاً من حال إلى حال عليَّ الله أن يفتح له باب رزق يسد حاجته، ومن هنا وجد في وصول والي اليمن إلى مكة فرصة لتحقيق ذلك فكلمه بعض القرشيين في أن أصحبه"[٤] وخرج معه إلى اليمن[٥]. فاستعمله الوالي في بعض الأعمال التي لم تحدد – كما سبق بيانه – إلا أنها فيما يبدو أصبحت مصدر رزق ضمن للإمام الشافعي

(١) مناقب الامام الشافعي، ص٣٩.
(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٦، وانظر عن ذلك أيضاً: ابن حجر: توالي التأسيس، ص١٢٧.
(٣) البيهقي، مناقب الشافعي، ص١١١.
(٤) الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩.
(٥) ابن حجر: توالي التأسيس، ص١٢٧.

دخلاً يُؤمّن حاجته، ويرفع عوزه، يؤكد هذا ما ذكره كل من الفخر الرازي[١] والبيهقي[٢] حيث ذكرا أن الشافعي قدم "من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار"[٣]، وورد في رواية أخرى أنه قدم ومعه "عشرون ألف دينار"[٤]، وذكر ابن عساكر[٥] أنه قدم مرة ومعه ثلاثة آلاف دينار فدخل عليه بنو عمه وغيرهم فجعل يعطيهم حتى قام وليس معه شيء. ومع أن المبلغ الذي ذكر كبير جداً، وقد يكون مبالغاً فيه إلا أنه يدل على أن الإمام الشافعي قد تحسنت حاله المالية في اليمن، وقد يكون مرد ذلك ليس إلى عطاء الولاية والأعمال الإدارية التي كلف بها، بل قد يعود إلى أنه كان يعمل في مجالات أخرى كالتجارة مثلاً؟

السبب الثالث: طلب العلم:

تمدنا المصادر التي تناولت رحلة الشافعي إلى اليمن بسبب آخر من أسباب خروجه إلى اليمن، وهو يتعلق برغبته في طلب العلم وتحصيله، ولا غرو ولا عجب أن يرحل الشافعي – وهو المغرم بالعلم، الشغوف بتحصيله – إلى الآفاق للاستزادة من فضل العلم ومجالسة أساطينه وأساتيذه، رغم أن البيئة التي خرج منها – مكة المكرمة – هي بيئة العلم والعلماء بمختلف فنونه وتخصصاته إلا أنه يبدو أن هناك ما كان يدفع الشافعي إلى

(١) مناقب الإمام الشافعي، ص٣٥٥.

(٢) مناقب الشافعي، ص١١٢، وانظر عن هذه الرواية كل من: أبو نعيم: حلية الأولياء،ج٩، ص١٣٠. وابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥١، ص٢٦٧.

(٣) ذكر الذهبي هذه الرواية غير أنه قال: "قدم الشافعي اليمن ومعه عشرة آلاف دينار" سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٣٨ والذي يظهر أن هذه الرواية سقط منها حرف الجر (من) حيث النص "قدم من اليمن" إلى مكة لتتفق مع باقي الروايات، وفي تاريخ دول الإسلام قال: "قدم الشافعي صنعاء فضربت له خيمة..."، ج٥، ص١٥٩.

(٤) ابن حجر: توالي التأسيس، ص١٢٣.

(٥) تاريخ دمشق: ج ١٥، ص ٢١٩،و انظر ابن حجر: توالي التأسيس، ص١٢٣ – ١٢٤.

اليمن، فما هو العلم الذي سعى الشافعي إلى تحصيله في اليمن؟ ترد في هذا الباب عدد من الروايات التاريخية المتباينة. فابن أبي حاتم ينقل عن الحميدي قول الشافعي: "خرجت إلى اليمن في طلب كتب الفراسة[١]، حتى كتبتها وجمعتها"[٢] ويؤكد ذلك كل من أبي نعيم الأصفهاني[٣] والبيهقي[٤] والذهبي.[٥] والصفدي[٦] وابن حجر[٧]. فإجماع هؤلاء الأعلام على تلك الرواية يؤكد أن الشافعي كان عنياً بطلب علم الفراسة والنجوم وحريصاً على تعلمه وأنه تعلمه حتى برع فيه، ولذلك وصفه ابن القيم[٨] بقوله: "والشافعي كان أفرس الناس، وكان قد قرأ كتب الفراسة وكانت له فيها اليد الطولى" وقال عنه: "وروى أن الشافعي كان عالماً بالنجوم[٩]"، كما يؤكد أبو نعيم[١٠] ذلك بما يرويه عن ابن بنت الشافعي بقوله: "سمعت أبي يقول: كان الشافعي وهو حدث ينظر في النجوم، وما ينظر في شيء إلا فاق فيه".

ولعل هذا العلم – الفراسة – في زمن الشافعي كان بارزاً رغم ما قد يكون حوله

---

(١) علم الفراسة: علم من العلوم الطبيعية تعرف به أخلاق الناس الباطنة من النظر إلى أحوالهم الظاهرة كالألوان والأشكال والأعضاء. أو هي الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن (انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا) ar.wikipedia.org.

(٢) ابن أبي حاتم: آداب الإمام الشافعي ومناقبه، ج٢، ص٩٦.

(٣) حلية الأولياء، ج٩، ص ٧٧ – ٧٨.

(٤) مناقب الشافعي، ج٢، ص١٢٦.

(٥) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٠.

(٦) الوافي بالوفيات؛ ج٢، ص ١٢٣.

(٧) توالي التأسيس، ص٥٧.

(٨) مفتاح دار السعادة، ج٢، ص١٨٨.

(٩) مفتاح دار السعادة، ج٢، ص١٨٩.

(١٠) حلية الأولياء، جـ٩، ص٧٧.

من آراء فقهية مختلفة[١]، إلا أن إصرار الشافعي على تعلمه يدل على رواجه وانتشاره، لذلك سافر إلى اليمن لتعلم الفراسة وليتأكد من مدى صحتها، فقضى في اليمن ثلاث سنوات يتعلم ذلك العلم حتى أتقنه[٢].

ويبدو أن الإمام أراد أن يقف على مدى صحة هذا العلم وفائدته ومصداقية نظرياته، والتي يحكم أصحابها من خلالها على من يتعاملون معه، لذلك وفي طريق عودته من اليمن حدثت له قصة غريبة كانت سبباً في تأكده من صحة ذلك العلم بعد أن كاد أن يحرق كل الكتب التي كان قد جمعها في اليمن عن هذا العلم[٣]. ورغم أن بعض المصادر تشير إلى أن الشافعي قد رجع عن هذا العلم " فجعل على نفسه أن لا ينظر فيه أبداً، ودفن تلك الكتب"[٤]. إلا أن البعض الآخر يروي أن الشافعي ظل يهتم بذلك العلم، وله به دراية تامة إلى آخر حياته[٥].

بل يوغل صاحب حلية الأولياء[٦] حيث يقول: إن الشافعي تعلم على النجوم والحساب بها وكان يقول: "شيئان أغفلهما الناس، النظر في الطب، والعناية بالنجوم".

أما القفطي فقد ذكر أن الشافعي رحل إلى اليمن لطلب العلم على يدي عالم اليمن "عبدالرزاق"[٧] وهو من علماء الحديث الكبار والذين كان طلاب العلم يقصدونه من

---

(١) انظر عن ذلك: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج٢، ص٢١٩ – ٢٢٢.

(٢) حسين يوسف: نشأة المذهب الشافعي وتطوره التاريخي، ص٥٠.

(٣) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢، ص١٣٤.

(٤) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢/ ص١٢٦، الذهبي: تاريخ الإسلام. ص١٦٦.

(٥) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢، ص١٣٦.

(٦) أبو نعيم: ج ٩، ص٧٨.

(٧) عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري، فقيه صنعاء، ولد سنة ١٢٦هـ، وتفنن في طلب العلم، وبرع فيه حتى أصبح مقصداً لطلاب العلم، ودرس بمكة المكرمة وغيرها. توفي سنة ٢١١هـ وقيل ٢١٢هـ. انظر: (ابن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص٦٧ – ٦٨).

مختلف الجهات والأصقاع حيث حدث القفطي عن "الربيع بن سليمان قال: حدثني محمد ابن إدريس الشافعي قال: رحلت إلى اليمن لأسمع من عبدالرزاق"[١] وعليه يكون هدف الشافعي هو استكمال دراسة علم الحديث على يدي هذا العالم الكبير عبدالرزاق الصنعاني.

والغريب في الأمر أن المصادر المتقدمة لم تعد عبدالرزاق الصنعاني في مشائخ الإمام الشافعي الذين تلقى العلم عنهم، وإنما ذكرت أربعة من العلماء اليمنيين درس عليهم الشافعي لم يكن عبدالرزاق بن همام من بينهم[٢]. رغم أن ابن حجر[٣] قد عد له ما يقرب من ثمانين شيخاً من أكابر العلماء في عصره، ولم يعد الصنعاني من ضمنهم.

ويذكر ياقوت[٤] رواية أخرى تفيد أن الإمام الشافعي خرج إلى اليمن يطلب علوم اللغة من شعر ونحو حيث يقول: "وأما طلبه للعلم فحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب ابن عبدالله الزبيري أنه خرج إلى اليمن فلقي محمداً بن إدريس الشافعي وهو مستحض في طلب الشعر والنحو والغريب، قال فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك وانصرفت به معي إلى المدينة... ".

والنص أعلاه يؤكد أن الإمام الشافعي اجتهد في طلب علوم العربية من شعرٍ ونحوٍ وسواهما، وقد برع في ذلك حتى كان يقضي الليل الطويل في مسامرة عبدالله الزبيري ومناشدة الشعر معه[٥].

وتؤكد الروايات التاريخية أن الشافعي "كان في ابتداء أمره يطلب الشعر وأيام الناس

(١) القفطي: المحمدون من الشعراء، ج١، ص٢٤.
(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ مدينة السلام، مج١، ص٣٩٣، البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٥-١٠٨، وانظر الرازي: مناقب الإمام الشافعي ص٤٤.
(٣) توالي التأسيس: ص٦٢ -٧١.
(٤) معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٤.
(٥) ابن حجر: توالي التأسيس، ص٥٤.

والأدب"[١]. وكان قد "قرأ أشعار هذيل حفظاً"[٢]، وبذلك برز في الشعر والرواية حتى بلغ الأمر أن راجع الأصمعي على شهرته عليه - أشعار هذيل ودققها من حفظ الشافعي[٣]. ولا غرو في ذلك فقد أثر عن الشافعي قوله: "أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها"[٤]، والذي يظهر أن الشافعي وهو يطلب أشعار العرب، وأيامها ويتعلم الفصحى من قبائل العرب قد اتجه إلى اليمن وطلب ذلك لدى القبائل اليمنية وحرص عليه. وهي لا شك ممن تستقى منها اللغة الفصحى، وكان ذلك في بداية طلبه للعلم وهو حدث السن[٥].

مشائخ الشافعي في اليمن:

ذكرت المصادر[٦] أن الإمام الشافعي تلقى العلم في اليمن على أيدي مجموعة من العلماء وحددت عدداً من الأسماء كان أبرزها:

١- مطرّف بن مازن:

وهو أبو أيوب مطرف بن مازن الكناني بالولاء اليماني الصنعاني (ت١٩١هـ) ولي قضاء صنعاء وهو من أهل الرواية والحديث توفي سنة ١٩١هـ[٧]. واختلف في روايته

(١) البيهقي: مناقب الشافعي، ص٩٦.

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي ص١٠٢.

(٣) البيهقي: مناقب الشافعي: ج٢، ص٤٤، النووي: تهذيب الأسماء واللغات ج١، ص٥٠، الذهبي: تاريخ الإسلام ص١٥٤.

(٤) البيهقي: مناقب الشافعي، ج٢، ص٤٢، الذهبي: تاريخ الإسلام ص١٤٩.

(٥) ابن سمرة الجعدي: طبقات فقهاء اليمن، ص١٥١.

(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦ - الفخر الرازي: مناقب الإمام الشافعي، ص٤٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٠٩ - ٢١٠. ابن حجر: توالي التأسيس، ص٦٢ - ٧١.

(٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٥٤٨، ابن حجر: توالي التأسيس، ج٥، ص٢١١.

بين موثق له ومجرح في روايته، وكان من الخطباء المعدودين في صنعاء[١] وقد تتلمذ عليه الشافعي في صنعاء في رحلته لطلب العلم وروى عنه[٢]، وأكد الشافعي صحبته وأخذه عن مطرف حيث قال: "وقد كان من حكام الآفاق من يستحلف على المصحف وذلك عندي حسن، وقال: وأخبرني مطرف بن مازن بإسناد لا أحفظه أن ابن الزبير أمر بأن يحلف على المصحف، قال الشافعي ﷺ "ورأيت ابن مازن – وهو قاضي صنعاء – يغلظ باليمين بالمصحف"[٣]، وهذا يؤكد طلبه الحديث على مطرف بن مازن.

٢- هشام بن يوسف:

وهو أبو عبدالرحمن هشام بن يوسف الصنعاني، الإمام الثبت قاضي صنعاء وفقيهها[٤]. وهو من الأبناء، سمع معمراً وابن جريج، وهو من رواة الصحيح مات سنة ١٩٧هـ / ٨١٢ م[٥].

ذكره في شيوخ الشافعي كل من الخطيب البغدادي[٦] والفخر الرازي[٧]، والذهبي[٨] والجندي[٩] وغيرهم.

ويعد هشام من أقران عبدالرزاق بن همام الصنعاني – عالم اليمن – " لكنه أجلُ

(١) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٨٣ – ٨٤.
(٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٠٩.
(٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢١٠.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٩، ص٥٨٠ – ٥٨٢.
(٥) ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص٦٧.
(٦) تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦.
(٧) مناقب الإمام الشافعي، ص٤٤.
(٨) سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص٧.
(٩) السلوك في طبقات العلماء والملوك، ج١، ص١٣٨ – ١٣٩.

وأتقن"[١] وكان من علماء اليمن الكبار في الفقه والحديث، أشار إلى ذلك عدد من المؤلفين، وتتلمذ على يديه عدد كبير من طلاب العلم في عهده[٢]. وقد روى عنه الإمام الشافعي كما ذكر ذلك كل من المزي[٣]، والسيوطي[٤]، والذهبي[٥]. مما يجزم معه أن الشافعي قد تتلمذ على يديه، وأفاد من علمه.

ولقد أضاف لهما الفخر الرازي[٦] اثنين آخرين عدهما في مشائخ الإمام الشافعي من أهل اليمن، وهما عمرو بن أبي سلمة - صاحب الأوزاعي-، ويحيى بن حسان[٧] – صاحب الليث بن سعد -.

وبتتبع ترجمة العلمين المضافين لدى الرازي يتضح أنهما ليسا من أهل اليمن، بل عمرو بن أبي سلمة دمشقي رحل إلى مصر واستقر بها[٨]، ويحيى بن حسان فهو بصري رحل أيضاً إلى مصر ونزل تنيس فنسب إليها[٩]، والمصادر[١٠] تذكر أن الشافعي روى عنهما فقد يكون تلقى منهما في مصر أو في الشام أو غيرهما. إلا أنهما ليسا من أهل اليمن فلعل الرازي قد وهم في جعلهما من أهل اليمن.

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٩، ص٥٨٠.

(٢) انظر عنه ابن سعد الطبقات الكبرى: ٧/ ٥٤٨، ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج١١، ص٥٢.

(٣) المزي، تهذيب الكمال، ص٢٦٨.

(٤) السيوطي: طبقات الحفاظ، ج١، ص١٥٠.

(٥) الذهبي: العبر في خبر من عبر، ج١، ص٢٥٣ – ٢٥٤.

(٦) مناقب الإمام الشافعي: ص٤٤.

(٧) وورد اسمه عند الخطيب البغدادي بـ (يحيى بن أبي حسان) وعده في مشائخ الشافعي (تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦).

(٨) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠/ ص١٢٧.

(٩) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ١٠، ص١٢٧، التهذيب، ج١١، ص١٩٧.

(١٠) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص٥٦، ابن حجر: توالي التأسيس، ص٦٨، ٧٠.

بينما أضاف كل من البيهقي[١] وابن سمرة[٢]، وابن حجر[٣] والذهبي[٤] علماً آخر هو محمد بن خالد الجندي[٥] وهو من علماء اليمن المعروفين فيمن روى عنهم الشافعي وتتلمذ عليهم.

أعمال الشافعي في اليمن:

من خلال استعراض المصادر التي تناولت رحلة الإمام الشافعي إلى اليمن يتضح أنه قد مارس عدداً من المهام الإدارية والقضائية والمالية خلال فترات وجوده في اليمن وذلك إلى جانب طلبه للعلم – كما سبق بيانه –لقد أشار كل من البيهقي[٦]، والفخر الرازي[٧] وغيرهم إلى أن من أسباب خروج الإمام الشافعي من مكة إلى اليمن البحث عن عمل. حيث توضح رواية تلميذه الحميدي التي نقلها كل من المؤلفين السابقين وكذلك ابن حجر[٨] وغيرهم – وسبق ذكرها – أن الإمام الشافعي خرج مع والي اليمن للعمل معه، وأنه حين قدم اليمن استعمله الوالي قال: "فلما قدمنا – أي اليمن – استعملني على عمل، فحمدتُ فيه فزادني عملي"[٩].

ولم تحدد الرواية هنا نوع العمل الذي تولاه الإمام الشافعي، ولا مكانه أيضاً.

---

(١) مناقب الشافعي: ج٢، ص٣١٣.
(٢) طبقات فقهاء اليمن، ص٦٦ –٦٧.
(٣) توالي التأسيس، ص٦٩.
(٤) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٦٧.
(٥) انظر ابن سمرة: طبقات فقهاء اليمن، ص٦٦ –٦٧،
(٦) مناقب الشافعي، ص١٠٦.
(٧) مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩.
(٨) توالي التأسيس، ص.
(٩) البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٦.

والذي يفهم من هذه الرواية أن الوالي قد كلفه بعمل أولي لعله قصد منه اختبار قدراته وإمكاناته في القيام بالأعمال الإدارية. ومعرفة مدى قدرته على تسييرها، ويظهر أن الشافعي قد حقق نجاحاً في عمله الذي كلف به، ومن ثم زاد الوالي من الأعمال التي كلف الشافعي؛ بها لذا قال الفخر الرازي نقلاً عن الشافعي: "واستعملني في أعمال كثيرة، جهدت فيها"[١].

أما القفطي[٢] فقال: "استخدم في أحد الخدم الديوانية باليمن، فتوجه وأقام متولياً مدة ".

وفي ظل هذا الإبهام من المصادر يتعذر الجزم بتحديد المهمة التي أوكلت إلى الشافعي في اليمن خلال هذه الفترة، إلا أنها من مهام الديوان. وبما أن الشافعي من طلاب العلم – والعلم الشرعي تحديداً – فإذا قرنا ذلك مع الرواية التي تقول أن قاضي اليمن مصعب الزبيري هو من اصطحبه معه إلى اليمن أمكن القول أن تلك المهمة كانت تتعلق بالقضاء وأموره، ولعلها تتصل بسجلات القضاء في المحكمة[٣].

وأياً كانت طبيعة العمل الذي كلف به فقد أجاد الإمام الشافعي أداء العمل الذي كلف به بشكل جعل الناس تتناقل سيرته وعدله في عمله، وتثني عليه في ذلك – حتى بلغ الثناء عليه مكة مع القادمين من اليمن. يقول الشافعي: "وفد الناس في شهر رجب – إلى مكة – فأتوا عليَّ فطار لي به ذكر" [٤].

وقد وصل ذلك الثناء إلى شيوخه في مكة المكرمة[٥]، ورغم سرورهم بذلك،

(١) مناقب الشافعي، ص٣٩.

(٢) المحمدون من الشعراء، ج١، ص٤٠.

(٣) حسين يوسف: نشأة المذهب الشافعي وتطوره تاريخياً، ص٥٢.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢٠، ابن حجر توالي التأسيس، ص١٢٧.

(٥) البيهقي، مناقب الشافعي، ج١، ص١٠٦.

وسعادتهم بما حققه تلميذهم، إلا أن منهم من عاتبه على تركه لطلب العلم، ودخوله في الأعمال الإدارية ونحوها، مما رأوا أنه سيكون عائقاً له في التحصيل العلمي فنصحوه بالابتعاد عنها والتفرغ لطلب العلم وتحصيله لما رأوا من نبوغه وقدرته، حيث قال له شيخه سفيان بن عيينة - محدث مكة وعالمها - " قد بلغني حسن ما انتشر عنك، وما أديت كل الذي لله عليك فلا تعد"[(١)]، أما شيخه مسلم بن خالد الزنجي - قاضي مكة - فقد زجره ووبخه ولم يرد السلام عليه وقال له: "أحدهم يجيئنا حتى إذا ظننا أنه يصلح أفسد نفسه"[(٢)]، وكان ذلك من حرصه الشديد على أن يواصل الشافعي طلب العلم والتفرغ له لما عرف من نباهته وذكائه.

الشافعي في نجران:

لقد حقق الإمام الشافعي نجاحاً وتميزاً في الأعمال الديوانية التي كلف بها - كما سبق - ولذلك رأى والي اليمن أن يستفيد منه في مهام أعلى، لذلك وجهه إلى نجران قاضياً يقول الشافعي: "ثم ولِّيت نجران وبها بنو الحارث بن عبدالمدان[(٣)] وموالي ثقيف، وكان الوالي إذا أتاهم صانعوه، فأرادوني على ذلك، فلم يجدوا ذلك عندي، وتظلم عندي ناس كثير"[(٤)]. وباشر الإمام الشافعي مهام عمله قاضياً في نجران. ولم توضح المصادر السنة التي باشر فيها تلك المهمة بالتحديد إلا أنه يظهر من سياق النصوص أنه توجه إلى نجران بعد مدة من الزمن قضاها في الخدمة الديوانية.

(١) البيهقي، مناقب الشافعي، ص١٠٦. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢٢.

(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج٩، ص٧٥.

(٣) بنو الحارث بن عبدالمدان: هم بنو الحارث بن كعب بن عمرو، قبيلة قحطانية تسكن نجران، ومن بطونهم بنو عبدا لمدان (انظر: ابن السائب الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص٢٦٨-٢٧٥. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ص٤١٦ - ٤١٧، كحالة: معجم قبائل العرب، ج١، ص٢٣١.

(٤) البيهقي: مناقب الشافعي، ج١، ص١٠٦. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢٣.

وحين وصل الشافعي إلى نجران واجه مشكلتين الأولى تمثلت في والي اليمن الذي أشارت بعض المصادر إلى أنه كان سيء السيرة وأنه كان يرتكب المظالم - كما سيأتي بيان ذلك لاحقاً -.

وأما المشكلة الثانية فهي التي ذكرها الشافعي في النص أعلاه. إذ حاول ذوو النفوذ والمصالح الخاصة في نجران مصانعة الشافعي - كما اعتادوا أن يفعلوا مع بعض من سبقه من الولاة والحكام في بلدهم - حتى يستطيعوا الإبقاء على مصالحهم، غير أن سعيهم فشل، ومكرهم بطل، فلم يجدوا ذلك عند الشافعي، ولا استجاب لإغرائهم واستمالتهم، وصمم على إنفاذ الحق دون مواربة ولا مجاملة.

ويبدو أن ضغط أولئك المتنفذين قد تواصل على الشافعي مما جعله يلجأ إلى طريقة خاصة لإجراء الأحكام والتأكد من نزاهة الشهود في القضايا التي تعرض عليه وتوثيقهم لذلك، يقول الشافعي وهو يبين تلك الطريقة التي لجأ إليها "فجمعتهم وقلت: اجتمعوا على سبعة منكم رجال عدول، من عَدَّلُوه كان عدلاً، ومن جَرَّحوه كان مجروحاً، فاجتمعوا على سبعة منهم، فجلست، وقلت للخصوم: تقدموا، وأجلست السبعة حولي فإذا شهد شاهد التفت إلى السبعة فقلت: ما تقولون في شهادته... "[1].

وبذلك رد الإمام الشافعي الأمر إلى الثقاة منهم، وحملهم بذلك مسؤولية الشهادة وقبولها مع عدمه.

ولا تسعفنا المصادر بمادة واضحة لتحديد المدة الزمنية التي قضاها الشافعي متولياً لقضاء نجران، غير أنه يمكن القول أنه قد قضى ما يقرب من خمس سنوات في مجمل هذه الأعمال من "الخدمة الديوانية" إلى قضاء نجران، وذلك خلال المدة التي اتفق

(١) انظر: ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، ص٢٤-٢٥، أبو نعيم: حلية الأولياء، ج٩، ص٧٦-٧٧، البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٦، ١٠٧.

المؤرخون أنه قضاها في رحلته هذه إلى اليمن أي من نهاية سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م بعد وفاة الإمام مالك إلى سنة حمله من اليمن وهي ١٨٤ هـ/ ٨٠٠م [١].

حمل الشافعي إلى بغداد:

ورغم حسن سيرة الإمام الشافعي في أداء الأعمال التي كلف بها في اليمن سواءً في الأعمال الديوانية أم في القضاء والتي شهد له بها الكثير من أهل اليمن حتى تحدث بها في المواسم في مكة وحتى وصلت إلى مشائخه في كل من مكة والمدينة، إلا أن ذلك لم يرق لبعض أصحاب المصالح الخاصة الذين رأوا في سلوك الإمام خطراً على مصالحهم، ومن ثمَّ قرروا التخلص منه، فتآمروا عليه لدى الوالي الذي بدوره سعى به إلى الخليفة وكانت التهمة المكرورة جاهزة لتلصق بالإمام الشافعي حيث كتب والي اليمن إلى الخليفة بخوفه شأن العلويين ويذكر له شأن - الشافعي - ويقول: "إن معه[٢] رجلاً يقال له محمد بن إدريس، يعمل بلسانه ما لا يعمل المقاتل بسيفه، فإن كانت لك بالحجاز حاجة حملهم منها "[٣].

وأي تهمة أخطر وأجل من المساس بأمن الدولة ومحاولة الخروج عليها، أو الميل والتأييد للخارجين ضدها؛ لذلك وصل الأمر الخليفي العاجل أن يحمل هؤلاء النفر جميعاً بأسرع وقت إلى بغداد: "فورد الكتاب فحملت أنا والطالبي وجماعة معنا، فأدخلنا على هارون عشرة عشرة... "[٤].

---

(١) عبدالغني: الإمام الشافعي. ص٩٣ – ٩٧.

(٢) أي مع الثائر العلوي ولم تتفق المصادر على اسم واحد لهذا الثائر فالبعض يقول عبدالله بن الحسن والبعض يقول يحيى بن عبدالله الحسن، والبعض يقول يحيى بن الحسين وهكذا، والفترة ذاتها شهدت اضطراباً شديداً وعددٍ كبير من الثورات (انظر: أبو نعيم الحلية، ج٩، ص٨٦).

(٣) البيهقي، مناقب الشافعي، ص١١٢.

(٤) البيهقي، مناقب الشافعي، ص١١٢.

والرواية أعلاه تصرح أن حمل الشافعي إلى بغداد كان من الحجاز وليس من اليمن، ويؤيد هذه الرواية ما ذكره ابن عبد البر[١] حيث يروى بسند عن المزني عن الشافعي قال: "رفع إلى هارون الرشيد أن بمكة قوماً من قريش، استدعوا رجلاً علوياً كان باليمن ثم قدم مكة مجاوراً، فاجتمع إليه من قريش فتية جماعة يريدون أن يبايعوه ويقوموا به، فأمر الرشيد، أن يُكتب إلى عامله بمكة: أن يبعث إليه من مكة ثلاث مائة رجلٍ، كلهم من قريش مغلولة أيديهم إلى أعناقهم قال الشافعي، فأشخصت فيمن أشخص مغلولا".

كما يورد المؤلف الرواية ذاتها بسند مختلف عن السابق وإن كان فيها إيهام وتروى بالمعنى. مفادها أنه نقل من الحجاز[٢].

وعلى هذا يكون موطن حمل الشافعي إلى بغداد من مكة أو الحجاز، ولكن التهمة والكيد به إنما كان من قبل بعض أهل اليمن، فقد تابعته التهمة وحرص حساد الإمام[٣] على تتبعه للإيقاع به وإن كان خارج اليمن.

أما الرواية الأخرى فتؤكد أن حمله إلى بغداد كان من اليمن حيث يؤكد ذلك أبو حاتم الرازي[٤]، كما يؤكده أبو نعيم[٥] بقوله: "ذكروا أن الشافعي لما أحضر مع العلويين من اليمن"، ويؤكده أيضاً كل من الفخر الرازي[٦] والذهبي[٧] وغيرهم.

(١) الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ج١، ص١٥٣.

(٢) ابن عبدالبر: الانتقاء، ص١٥٤.

(٣) آداب ومناقب الإمام الشافعي، ص٢٥، ٢٦.

(٤) آداب ومناقب الإمام الشافعي، ص٢٦.

(٥) أبو نعيم: حلية الأولياء، ج٩، ص٦٨.

(٦) ابن حجر: توالي التأسيس، ص٥٤.

(٧) سير أعلام النبلاء، ج١، ص٨٦.

وعليه، فإن هذه الرواية هي الرواية الأقوى وذلك لكونها تعود إلى مصادر أقدم، وتواضع عليها عدد كبير ممن كتب عن محنة الإمام الشافعي رحمه الله.

وإذا كانت المصادر قد اختلفت في موطن نقل الشافعي إلى بغداد بعد اتهامه بتأييد الخارجين على الخليفة فإنها اتفقت على أن نقله إلى بغداد كان في سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م[١].

وتختلف المصادر بعد ذلك في تحديد المسؤول المباشر عن اتهام الشافعي، فترد رواية مفادها أن قاضي اليمن مطرف بن مازن هو الذي كتب إلى الرشيد يقول له: "إن أردت اليمن لا تفسد عليك فأخرج عنا محمداً بن إدريس" وهذه الرواية ذكرها أبو نعيم[٢] ونقلها عنه آخرون من أبرزهم الذهبي[٣]، وابن حجر[٤] والسبكي[٥] وإذا صحت هذه الرواية فلعلها تكون من باب المنافسة بين الأقران، رغم أن الشافعي كان من تلاميذ مطرف ودرس على يديه – كما مر سابقاً– وفي نص الرواية ما يوحي بشيء من الغيرة التي ربما شعر بها مطرف تجاه الشافعي، وذلك لكثرة الجالسين له، وبروز شخصيته بشكل جعل طلاب العلم يميلون إليه فيما يبدو حيث يقول الشافعي " فلما صرنا إلى اليمن وجالسنا الناس كتب مطرف بن مازن إلى هارون الرشيد."[٦]

أما الرواية الأخرى فقد وردت بصيغة المجهول، ولم تحدد شخصاً بعينه سعى بالشافعي حيث وردت مرة بصيغة " رُفع إلى هارون الرشيد..."[٧]، وفي أخرى " ثم

(١) ابن حجر: توالي التأسيس، ص١٣١.
(٢) أبو نعيم: حلية الأولياء، ٩/ ٧٠.
(٣) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٨٦.
(٤) توالي التأسيس، ص١٢٨.
(٥) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢١، ١٢٢.
(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٨٦.
(٧) ابن عبدالبر: الاكتفاء، ص١٥٣.

أن الحساد سعوا بي إلى هارون الرشيد"[١].

ويظهر أن أصحاب هذه الرواية آثروا تجنب الخوض في تحديد المتسبب المباشر في هذه المحنة للإمام الشافعي نظراً لكثرة الروايات المنسوبة إلى الشافعي ذاته والمتضاربة فيما بينها.

أما الرواية الأكثر بروزاً عند المؤرخين وغيرهم فهي التي تجعل المتسبب في ذلك هو والي اليمن حماد البربري، فقد روى البيهقي[٢] قول الشافعي " وكان بها - أي اليمن - من قواد هارون رجل يقال له حماد البربري، فكتب إليه يخوفه شأن العلويين ويقول: إن معه رجلاً يقال له محمد بن إدريس، يعمل بلسانه ما لا يعمل بسيفه...".

وذكر الحموي[٣] رواية ترفع إلى الشافعي قال: "ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن وكان بها والٍ من قبل الرشيد، وكان ظلوماً غشوماً....فكتب الوالي إلى الخليفة يقول إن ناساً من العلوية قد تحركوا وإني أخاف أن يخرجوا، وإن ها هنا رجلاً من ولد شافع المطلبي لا أمر لي معه ولا نهي، قال: فكتب إليه هارون أن أحمل هؤلاء وأحمل الشافعي معهم، فقرنت معهم ".

كما روى ابن حجر[٤] بسند إلى الإمام الشافعي قوله: "كتب حماد البربري إلى الرشيد: إذا كانت لك حاجة قبلنا - يعني باليمن - فاحذر محمد بن إدريس فإنه قد غلب على ما قبلي، ولو أراد الخروج لم يبق أحد إلا اتبعه، قال فحملت إلى الباب، واجتمع عليَّ أصحاب الحديث". واختلاف النص في هذه الروايات يظهر أن ذلك الوالي قد كرر

(١) الفخر الرازي: مناقب الشافعي، ص٣٩.

(٢) مناقب الشافعي، ص١١٢.

(٣) معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٦.

(٤) توالي التأسيس، ص١٢٩.

الكتابة إلى الخليفة في شأن الشافعي عدة مرات، وبصيغ مختلفة، وكلها تتضمن التحير منه، وقوة تأثيره في الناس.

وعلى هذا تكون هذه الرواية هي الأبرز والأظهر فيمن كان السبب في اتهام الشافعي وحمله مقيداً من اليمن إلى بغداد.

أما عن سبب هذه الوشاية فقد وردت عدة روايات تنسب إلى الشافعي تفيد أن ذلك الوالي كان "ظلوماً غشوماً، وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم" كما يقول الشافعي(١)، ولعل هذا ما أوغر صدر ذلك الوالي، وقرر التخلص من الشافعي من اليمن. وبما أن الإمام الشافعي كان يظهر مودته ومحبته لآل البيت – كما هو منهج الأئمة – دون غلو ولا مغالاة في موالاتهم(٢)، فلعل الوالي - حماد البربري - وجد في ذلك مبرراً يستطيع من خلاله أن يقنع الخليفة بضرورة إخراج الشافعي من اليمن، لذلك وجه إليه تهمة موالاة العلويين، والخروج مع الثائر العلوي باليمن.

والذي يظهر من مجمل الروايات في هذا الموضوع أن الرغبة في إخراج الشافعي من اليمن لم تكن لدى الوالي فحسب وإنما كانت أيضاً لدى بعض الذين كرهوا طريقة ومنهج الشافعي في القضاء بنجران – كما سبق بيانه - ونتيجة لعدم استجابة الشافعي لهؤلاء الذين أرادوا أن يصانعهم، وأن يغض الطرف عن بعض تجاوزاتهم؛ لذلك خرجوا من نجران واتجهوا إلى مكة، وأخذوا يكيدون للشافعي ويدبرون له التهم. قال الشافعي: "فخرجوا إلى مكة، وعملوا في أمري حتى رفعت إلى العراق"(٣). ولعل مكر وسعي أولئك الناقمين على الشافعي في نجران كان هو الأشد والأنكى، إذ حرصوا –

(١) ياقوت: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٣٩٦، وابن حجر: توالي التأسيس، ص١٢٩.

(٢) انظر المناقشة المستفيضة التي عقدها الفخر الرازي عن اتهام الشافعي بالتشيع وإبطاله لتلك التهمة بأدلة واضحة (مناقب الإمام الشافعي ص ٣٥-٣٩).

(٣) البيهقي: مناقب الشافعي، ص١٠٧. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص١٢٠.

فيما يبدو- على إيغار صدر الوالي من حين وصوله ضد الشافعي، وأخافوه منه، مما جعل الوالي يكتب في شأنه إلى الخليفة، حيث النص في هذا واضح وصريح، يضاف إلى ذلك أن حماداً البربري ولي اليمن في ذات السنة التي حُمل فيها الشافعي إلى بغداد وهي سنة ١٨٤هـ/ ٨٠٠م. مما يجعل العلاقة مع الشافعي قصيرة جداً، بل لقد حدد الطبري[١] الشهر الذي عين فيه الرشيد حماداً على مكة واليمن وهو شهر جمادى الآخرة من سنة ١٨٤هـ، بينما حدد الفخر الرازي التاريخ الذي أدخل فيه الشافعي إلى بغداد "بليلة الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة أربع وثمانين ومائة "[٢].

وبذلك تكون الفترة التي عاصر فيها الشافعي ولاية حماد على اليمن قصيرة جداً لا تتجاوز الثلاثة أشهر على أطول حال، وهذا على افتراض أن حماداً قد توجه إلى اليمن بعد تعيينه والياً على مكة واليمن مباشرة دون المكوث في مكة.

وأياً كان المتسبب فقد حمل الشافعي من اليمن إلى العراق نتيجة تلك الوشاية التي دبرها ضده أعداؤه وحاسدوه، ليصل إلى بغداد موثقاً في الحديد، ويمثل أمام الخليفة هارون الرشيد الذي استجوبه عما اتهم به من تهم، فردها الشافعي بأدلة دامغة جعلت الخليفة لا يعفو عنه فحسب، بل يصله ويكرمه، ويصبح من جلسائه ووعاظه[٣].

عودة الشافعي إلى اليمن:

يذكر البيهقي[٤] أن الخليفة هارون الرشيد "طلب رجلاً يقوم بصدقات اليمن، فأشار عليه محمد بن الحسن بالشافعي، وقال: هو رجل فقيه عالم، ويجمعه وأمير المؤمنين

(١) تاريخ الأمم والملوك، ج١٠، ص٧٠ – ٧١. وكانت ولاية حماد من ١٨٤ – ١٩٢هـ.

(٢) الفخر الرازي، مناقب الشافعي، ص٧١.

(٣) ابن عبدالبر: الاكتفاء، ص١٥٣ – ١٥٤، الفخر الرازي: مناقب الشافعي، ص٧١ – ٧٣.

(٤) مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٢.

عبد مناف بن قصي فقال الرشيد: عليَّ به"، ثم ذكر خروجه إلى اليمن وإقامته بها حولاً كاملاً.

ويبدأ البيهقي(١) هذه الرواية بقوله: "أن الرشيد بعدما عفا عن الشافعي في الكرة الأولى طلب رجلاً..." وهذا يشير إلى أن الشافعي كان قد حدث بينه وبين الرشيد سواءً من قبل وأن الخليفة هارون الرشيد قد عفا عنه في الكرة الأولى" وأعاده الآن إلى اليمن جابياً للصدقات من أهل اليمن.

ولم يبين البيهقي في حديثه هذا ما هي الكرة الأولى التي يعنيها بقوله: "قد عفا عنه في الكرة الأولى" ولعله يقصد بذلك نقل الشافعي إلى الرشيد متهماً بالخروج مع أحد الثوار العلويين وهو ما اتهم به في المرة الأولى كما سبق بيانه.

ويورد البيهقي(٢) هذه الرواية بصيغة أخرى حيث يقول: "أراد هارون الرشيد أمير المؤمنين أن يوجه جباة أمناء إلى اليمن، فجعلوا يطلبون أمناء صالحين فجمع ستة نفر، وضممت غليهم وأنا أصغرهم سناً، فوجهنا إلى اليمن في جباية خراجها، فجعلنا نأخذ من أغنيائها فنرد على فقرائها استعمال حديث النبي ﷺ حين بعث معاذاً إلى اليمن". وقد أمضى في تلك المهمة حولاً كاملاً.

وتؤكد الرواية على أن الإمام الشافعي قد سار في جبايته لخراج اليمن بسيرة معاذ بن جبل حينما بعثه النبي ﷺ والياً على اليمن(٣)، حيث كان يجمع الخراج من الأغنياء

(١) مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٢.
(٢) مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٤ – ١٤٥.
(٣) عن تعيين معاذ بن جبل ﷺ على اليمن انظر:
- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص٩٧.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٣٤٧ – ٣٥٠.
- ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٥٩٠ – ٥٩١.

ويفرقه على الفقراء، ونظراً لكثرة الفقراء والمحتاجين فقد كان الخراج ينفذ في اليمن ولا يتبقى منه شيء يرسل إلى الخلافة في بغداد[١]. وهذا ما أثار حفيظة بعض المتنفذين في بلاط الخليفة، ومن ثمَّ اتهموا الشافعي ومن معه من الجباة بأنهم لا يراعون حق خزينة الدولة في الخراج، وأنهم لم ينفذوا أمر الخليفة كما أمرهم، وشككوا من ثمَّ في نزاهتهم، بل ربما استغلوا ذلك في الطعن في ولاء أولئك الجباة للخلافة. "فقيل لأمير المؤمنين: إن الجباة الذين بعثتهم لا يوجهون إلى بيت المال شيئاً: قال: فاغتاظ لذلك، فقال يشخصون إلينا. فرددنا. فلما رجعت أحسست بالقتل، أو بأمر عظيم"[٢].

ولذلك حمل الشافعي ومن معه من اليمن إلى بغداد وعرضوا على الخليفة للتحقيق معهم في الأمر. وقد رجح البيهقي أن السبب في ذلك هو المال حيث قال: "وأن الغاية به وبأصحابه كانت لأجل المال"[٣].

وتؤكد هذه الرواية أنه كان للشافعي رحلة أخرى إلى اليمن كعامل للخليفة على جباية الخراج، وإن كانت الرواية لم تبين متى كانت هذه الرحلة، إلا أن السياق الذي بدأ به البيهقي الرواية يدل على أن هذه الرحلة تالية لرحلة سابقة له إلى اليمن بدليل قوله "في الكرة الأولى".

وللجمع بين الروايات المتباينة في حمل الشافعي إلى بغداد والتهم التي وجهت إليه يمكن القول: إن الإمام الشافعي حمل متهماً إلى بغداد مرتين، أما المرة الأولى فقد كانت بعد توليه مهمة القضاء في نجران، وما اتسم به من صلابة وقوة أمام أهل الأهواء والمصالح الذين ساوموه على تلك المصالح فلم يجدوا فيه مطمعاً، ومن ثمَّ أخذوا يكيدون له بكل ما أوتوا، وساندهم في ذلك الوالي الذي تعرض هو الآخر لنقد الشافعي علناً ومنعه من

(١) ابن الديبع: قرة العيون، ص١١٧ - ١١٨.

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي، ج١/ ص١٤٢.

(٣) مناقب الشافعي: ج١، ص١٤٤.

الظلم والجور. هنا التقت مصلحة هؤلاء جميعاً في إخراج الشافعي من اليمن، ومن ثمَّ اتهموه بالميل إلى العلويين، وطعنوا في ولائه للخليفة العباسي هارون الرشيد، وبذلك حمل الشافعي في هذه المرة سواءً كان موطن حمله اليمن أو كان قد غادرها إلى الحجاز ومكة قبل أن يصل أمر القبض عليه، ومن ثمَّ قبض عليه وأرسل مكبلاً بالحديد إلى بغداد بتهمة عظيمة جداً كادت أن تؤدي بحياته. ولعل هذه المرة هي التي أشار إليها البيهقي[١] بقوله: "بعدما عفا عن الشافعي في الكرة الأولى".

أما المرة الثانية التي حمل فيها الشافعي من اليمن إلى بغداد فقد كانت بعد أن اختاره الخليفة ليكون ضمن الجباة الذين كلفوا بالخروج إلى اليمن لجباية الخراج من أهلها، وهنا يصطدم الشافعي مرة أخرى بالمتنفذين وأصحاب المصالح والأهواء الذين لم يرق لهم منهج الشافعي ومن معه من الجباة في طريقة توزيع الأموال المحصلة من الخراج – رغم أنه سعى في ذلك بالمنهج الذي أمر به النبي ﷺ – إلا أن ذلك لم يوفر لخزينة الدولة ما كانت تتوقعه من خراج اليمن، ومن هنا يبدأ أولئك النفر السعي بالشافعي من جديد لدى هارون الرشيد، وتكون التهمة في هذه المرة مالية صرفة "وأن الغاية به وبأصحابه كانت لأجل المال"[٢]، وإن كان لا يبعد أنها غلفت أيضاً بجانب سياسي، وعلقت على جانب الميل للعلوية هذه التهمة المستفزة للدولة بشكل مثير جداً.

(١) مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٢.

(٢) البيهقي، مناقب الشافعي، ج١، ص١٤٤.

الخاتمة

يتضح من مجموع الروايات أنه كان للإمام الشافعي ثلاث رحلات إلى اليمن، أما الأولى فقد كانت لطلب العلم حيث طلب خلالها علوم العربية وأشعار العرب كما طلب علم الفراسة – حتى جمع فيه كل ما وجده وأجاد فيه، كما درس الحديث والفقه على أيدي عدد من علماء اليمن الذين سبق ذكرهم في مشائخه باليمن

والذي يظهر أن هذه الرحلة كانت في فترة مبكرة من عمر الإمام الشافعي وأنها كانت قبل خروجه إلى المدينة المنورة وأنه في هذه الرحلة اهتم بطلب الشعر وعلوم العربية وعلم الفراسة. ثم انتقل من اليمن إلى المدينة المنورة بصحبة قريبه مصعباً بن عبدالله الزبيري، يؤيد هذه الرواية التي أوردها الحموي[١] من أن مصعباً الزبيري خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس الشافعي. قال فقلت له إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس.

أما الرحلة الثانية فقد كانت فراراً من الفقر وطلباً للولاية والرزق وقد عمل خلالها في عدد من الأعمال الديوانية – وإن لم تحدد تلك الأعمال ولا مكانها من اليمن – ثم عمل بعدها قاضياً في نجران فحسنت سيرته بها، وظهر عدله وحرصه على الإنصاف بين المتحاكمين[٢]. وإن كان ذلك لم يسر بعض المتنفذين وأضر بمصالحهم ولذلك سعوا به إلى والي اليمن الذي سعى بدوره عند الخليفة هارون الرشيد حتى حمل الشافعي مقيداً بالحديد إلى بغداد بتهمة محاولة الخروج على الدولة وتأييد الثوار العلويين المناوئين للخلافة العباسية.

وقد ختمت تلك التهمة بالعفو عن الإمام الشافعي من قبل الخليفة حين بيّن له عدم

(١) معجم الأدباء ج٦، ص٢٣٩٤.

(٢) الفخر الرازي، مناقب الإمام الشافعي، ص٣٩.

صحة تلك التهمة وكان للإمام محمد بن الحسن الشيباني دور كبير في تصحيح الصورة عن الإمام لدى الخليفة.

أما الرحلة الثالثة فقد كانت في مهمة رسمية بتكليف مباشر من الخليفة وذلك حينما أراد الخليفة أن يعين جباة يتولون جمع الخراج من اليمن، فكان الإمام الشافعي أحد المختارين لهذه المهمة وقد أحسن السيرة في تنفيذ هذه المهمة حيث سار فيها وفق ما رسمه المصطفى ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه غير أن ذلك استنفد كل أموال الخراج وبالتالي لم يفيض له بهم ما يمدون به خزينة الدولة مما جعل الوشاة يتهمون الإمام الشافعي ومن معه بعدم موالتهم للدولة وميلهم عنها إلى أعدائها من العلوية، لذلك حمل الشافعي مرة أخرى من اليمن إلى بغداد بتهمة التقصير في جمع الخراج وعدم الوفاء للخزينة بما كانت تنتظره من أموال اليمن، ثم قرنت بميله إلى العلويين ضد الدولة، تلك التهمة التي كانت تثير حفيظة الخليفة بشكل كبير والتي ذهب في أتونها الكثير.

ويتضح من مجمل الروايات أن الشافعي كما طلب العلم في اليمن وجلس في حلقات العلماء والمشائخ الذين تتلمذ على أيديهم في اليمن – ممن سبق ذكرهم أعلاه – فهو أيضاً كان يجلس للناس، ويلقي الدروس والمواعظ، وقد مال إليه الناس وأحبوه، وكثرت الجموع حوله.

إلا أن الأمر الغريب أن المصادر التي تمكنت من الإطلاع عليها لم تذكر أحداً من تلاميذ الشافعي في اليمن، كما لم تشر إلى أي من المؤلفات التي يمكن أن يكون قد كتبها خلال هذه الفترة، ولعل ذلك يدعو إلى القول أن الشافعي في هذه المرحلة لا زال في بداية طلبه للعلم، ولم يكن قد بلغ مرحلة التأليف، رغم أن المصادر تذكر أن الشافعي أفتى بمكة وهو في سن صغيرة. وقد يكون لتركيز الشافعي أثناء وجوده في اليمن في رحلة طلبه للعلم على تعلم علوم الفراسة والنجوم ثم رجوعه عن ذلك وإتلافه لما جمعه من كتبها – كما ذكر البعض – دور في ذلك الإعراض للمصادر.

وأشارت المصادر إلى أن الشافعي قدم من اليمن وهو يحمل مبالغ مالية كبيرة – عشرة آلاف إلى عشرين ألف دينار[١] – كما سبق بيانه، وكان ذلك في مرات مختلفة، وبما أن الأعمال الرسمية التي كلف بها الشافعي في اليمن – الديوان والقضاء – ليست مضنة جمع مثل هذه المبالغ الكبيرة، وإلى جانب ذلك فقد أكدت المصادر أن الشافعي كان قليل المال بل كان فقيراً معدما، كما كان سخياً معطاءً إذا توفر المال عنده، فإن هذا يدعو للتساؤل هل كان للشافعي مصدراً آخر للدخل، هل كان مثلاً يعمل في التجارة خاصة وأنه قد ورد عن الشافعي قوله: "أفلست في عمري ثلاث إفلاسات، فكنت أبيع قليلي وكثيري، حتى حليَّ ابنتي وزوجتي، ولم أرهن قط"[٢]. وروى صاحب الحلية[٣] عن الشافعي قوله "أفلست في دهري ثلاث مرات، وربما أكلت التمر بالسمك". ووردت لدى الذهبي[٤] رواية نصها "كان الشافعي أسمح الناس، يشتري الجارية الصَّنّاع التي تطبخ وتعمل الحلواء... الخ". ولعل في هذا إيحاء أنه كان له مصدر رزق يعتمد عليه غير الوظائف والهبات، فالإفلاس لا يكون للفقير.

غير أن المصادر لم تشر بشكل مباشر إلى شيء من هذا؛ وبالتالي لا نستطيع الجزم بذلك. إلا أن ذلك لا يمنع من القول: إن الشافعي ربما قرن خروجه إلى اليمن لطلب العلم أو الولاية والعمل بأهداف أخرى تخصه، قد تكون التجارة من بينها – والله أعلم– .

(١) ابن أبي حاتم الرازي: آداب الشافعي ومناقبه، ص٩٤.

(٢) ابن أبي حاتم: آداب الشافعي ومناقبه، ص٩٤.

(٣) أبو نعيم، ج٩، ص١٣٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٣٩.

قائمة المراجع:

البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ). مناقب الشافعي. تحقيق السيد احمد صقر (مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ت).

الجعدي: عمر بن علي بن سمرة الجعيدي (بعد ٥٨٦). طبقات فقهاء اليمن. تحقيق فؤاد سيد (دار القلم، بيروت، د. ت).

الجندي: أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي (ت ٧٣٢هـ). السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الاكوع (ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

ابن الجوزي: جمال الدين ابي الفرج (٥٩٧هـ)، صفة الصفوة. تحقيق: محمد دقا خوري ومحمد رواس قلعه جي (دار المعارف حلب ١٩٧٠م).

ابن حجر: الحافظ أبو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). تهذيب التهذيب. باعتناء إبراهيم الزئبق وعادل مرشد (مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ت).

توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، تحقيق: أبو الفداء عبدالله القاضي (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

ابن حزم: محمد بن علي بن احمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ). جمهرة انساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٨٨ م).

الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، (دار الغرب الإسلامي، د. ت). معجم البلدان ، (دار صادر، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الحميري: محمد بن عبدالمنعم الحميري (ت ٧٢٧هـ). الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق حسين العباس (ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م).

الخزرجي: شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت ٨١٢هـ)، العسجد

/ هـ١٤٠١المسبوك فيمن إلى اليمن من الملوك،)طبعة ثابتة مصورة من المخطوط

١٩٨١ م).

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنبأ أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس (دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧ م).

ابن خياط: أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي (ت ٢٤٠هـ). تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م).

ابن الديبع: أبو الضياء عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي (ت٩٤٤). قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، تحقيق: محمد علي الأكوع (ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦ م). الذهبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٨٤هـ).

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشارعواد (ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م).

سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد تميم العرقوسي (ط٨ مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي (دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

الرازي: أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧). آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبدالغني عبدالخالق (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م).

الفخر الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦). مناقب الإمام الشافعي، (ط١، القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

السبكي: تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت ٧٧١هـ). طبقات الشافعية الكبرى: تحقيق: عبدالفتاح الحلو، محمود محمد الطناحي).

ابن سعد: محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى (دار صادر، بيروت، د. ت).

السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر (ت ٩١١هـ). طبقات الحفاظ، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)

الشيرازي: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي (ت ٤٦٧هـ)، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس (دار الرائد العربي، بيروت د. ت)

الطبري: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، (دار الفكر، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩ م).

الصفدي: صلاح الدين خليل بن آيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناووط وتركي مصطفى (ط١، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م).

ابن الصلاح: أبو عمرو بن عبدالرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ). علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر (دار الفكر، دمشق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٠م).

ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد البر الأندلسي (٤٣٦هـ)، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، ط١ (دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.).

ابن عساكر: الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (ت ٥٧هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي. (ط١ دار الفكر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

عياض: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك. تحقيق: أحمد بكير محمد ج١ (دار مكتبة الحياة، بيروت د. ت)

ابن فرحون: ابراهيم بن نور الدين المالكي (٧٩٩هـ)، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب. دراسة وتحقيق: مأمون محي الدين الجنان، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

القفطي: أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ). ـ المحمدون من الشعراء وأشعارهم، (تحقيق حسن معمري، مراجعة حمد الجاسر (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م).

ابن قيم الجوزية: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة. تقديم وضبط: علي بن حسن بن علي الآثري مراجعة: بكر بن عبدالله

أبو زيد (ط١، دار ابن عفان، الخبر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م).

أبو نعيم: الحافظ أبو نعيم احمد بن عبدالله الأصفهاني (ت ٤٣٠)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)

النووي: أبو زكريا محي الدين بن شرف (ت ٦٧٦هـ). تهذيب الأسماء واللغات. (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).

ابن هشام: أبو محمد عبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ). السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقى وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي (مؤسسة دار القران، بيروت، د. ت)

الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (٣٤٤هـ). صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع (دار اليمامة، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م).

ابن أبي يعلى: أبو الحسين محمد بن أبي يعلى البغدادي الحنبلي (ت ٥٢٦هـ) ، طبقات الحنابلة. تحقيق: عبدالرحمن سليمان العتيبي (مكة المكرمة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

الكبيسي: محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨). اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية. تحقيق: خالد أبا زيد الأذرعي (ط١، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٤٠٦هـ/ ٢٠٠٥ م).

ابن كثير: أبو الغداء الحافظ بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، علي نجيب عطوى، فؤاد السيد مهدي ناصر الدين (ط١، دار الريان للذات، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ت (٢٠٤هـ)، نسب معد واليمن الكبير. تحقيق: ناجي حسن (ط١، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)

المراجـــع

حيدر: أسد، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، (ط١، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤ م)

الدوقر: عبدالغني، الإمام الشافي فقيه السنة الأكبر، (ط٦، دار القلم، دمشق، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

الزركلي: خير الدين الزركلي، الأعلام، (ط٦،دار العلم، بيروت، ١٩٨٤ م)

أبو زهرة: محمد، الشافعي حياته وعصره، آراؤه وفقهه. (ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).

عبدالمتعالي: محمد بن علي، دليل الأسماء القديمة للقرى والهجر والأماكن العامة المتعارف عليها تاريخيا في منطقة عسير. (أبها ١٤٣٣هـ).

يوسف: حسين عبدالامير، نشأت المذهب الشافعي وتطوره تاريخيا، (المركز العلمي العراقي، بغداد، د. ت).